

أفكار متقاطعة

أتشفي الفلسفة وتلطّف الوجود الإنساني أم ترفد عدم نيتشه وهايدغر وفوكو؟

■ **جورج كعدي**

بقدر ما اتّسعت الأبحاث والدراسات حول الإنسان وتمكّنت، بالقدر نفسه اشتدّ الحصار على هذا الكائن وضيّق الخناق عليه وبدأت فكرة الإنسان نفسها تتبخّر. اقترن «ميلاد» الإنسان بنشأة العلوم الإنسانيّة، لكنّ التطوّر الكبير الذي عرفته طليعة تلك العلوم المتمثّلة في اللسانيّات والتحليل النفسيّ والإتولوجيا، خاصّة بعدما تبثّت المنهج البنيويّ وطلّفته، أدّى إلى تحوّل فكرة الإنسان نفسها إلى فكرة غير مجدية، على مستوى البحث والتفكير، ما أنبا يقرب اختفاء الإنسان واندثار أسطورة العصر الحديث حوله، تلك الأسطورة التي استمرّ الاعتقاد بها أكثر من قرنين.

إنّ ما خلصت إليه أبحاث تلك العلوم البنيويّة ودراساتها ليس الكشف عن ماهيّة أصليّة للإنسان، بل حقيقة أنّ اللاشعور يهيمن على كلّ ما يتعلّق بالإنسان. وخلاصة الموقف الفلسفيّ الذي انتهت إليه أبحاث ميشال فوكو وتأمّلاته، بعد المسار النظريّ المضنيّ، أننا حقاً (أي الإنسان عمّاةً) أمام نهاية كنيية وياستسة، مخيبيّة لأمال أولئك الذين تمخّسوا لهذا الفكر وانتظروا أن يكون ثمن التضحية بالعوالم والمشاعر الذاتية وعزل الفكر عن المعاناة ورفض التاريخ... أن يكون ثمن ذلك كله أن يقدم إليهم فوكو في النهاية ذاك المنهج المموع الذي يربط الإنسان بعلمه ويعالمه المحسوس، وينقد الإنسانيّة من مآهاتها. لكنّ «الأركيولوجيا»، وبعدها الجنيالوجيا، لم تقدّ في خاتمة المطاف إلاّ إلى مشارف تلك الحافة التي يحوم حولها الموت!

ابتكر فوكو منهجاً حدّد مضمونه من خلال معنى مجازيّ خاص به أضفاه على مصطلح «أركيولوجيا»، ووضِع لهذا المنهج مهمّة البحث عن أنماط النظام والتنظيم في المستويات العميقة للمعرفة والثقافة، وتحوّل هذا النظام المفترض في فلسفته إلى كينونة قائمة بذاتها ومفصولة عن فعاليات البشر وممارساتهم. وقابل في الأثناء ما يريده البشر ويعاونونه، وما يفكرون فيه ويطمحون إليه، بالاستخفاف والتجرّد. هذا كله لإثبات أنّ النسق هو الذي يتكلم، وهو الذي ينظّم ويتحكّم. كما انتقد العلوم الإنسانيّة ورفض أن يعترف لها بالصفة العلميّة وربط ظهورها ونشأتها بظهور «أسطورة القرن التاسع عشر الكبرى»، أي بما يدعو لهظة «ميلاد» الإنسان في الفكر الحديث. وتسرّع البعض فأعلن أنّ لنقدٍ مطامح ثوريّة، وأنّه سينتهي بأنّ يقدّم إلى تلك العلوم دليها النظريّ والمنهجيّ، ويعيد تدقيق صوغ مفاهيمها ومضامينها. وفي سياق نقده تلك العلوم أظهر حماساً كبيراً لتحرير التاريخ من الذاتية والجدال الفلسفيّ (الترانسدنتاليّ)، أي ممّا يُطلّق عليه تحدييدات ميتافيزيكيّة. والنتيجة: تشكيك في كلّ بحث في التاريخ.

تهدف النزعة النقديّة لدى فوكو في عمقها إلى تقويض جميع مظاهر الذاتية في تاريخ الفكر، وبالتالي إلى تعقّب النزعة الإنسانيّة في جميع معاقلها. وليس المقصود بالنزعة الإنسانيّة، تبعاً لفكر فوكو، تلك التي أضحي مالوفا وصفها بأنّها مجردة وحاملة ومثاليّة، إنّماكذلك النزعة الإنسانيّة كتاريخ للكيفيّة التي يتطوّر بها البشر ويطوّرون أجمع عيشهم وأساليب تفكيرهم وينشئون في جميع مستوياتها مظاهر حياتهم وتجاربهم نظريّات وأساقا معرفيّة. واضح إذن أنّ النقد الذي يعتمده فوكو لا يرمي إلى الكشف عن أيّ حقيقة، ولا يعمل على إبراز الطابع الإيجابي لأيّ حقيقة. إنّهُ

«سرايا عابدين»... العالم العربيّ مجتمعاً في «المحروسة»

مريم جبنة

كفر اللغظ حول مسلسل «سرايا عابدين» فالبعض قال إنّهُ دراما اجتماعيّة، والبعض وصفه بأنهُ عمل فانتازي باتميّاز، وقلّة قالت إنّهُ عمل تاريخي رغمّ أنّه يصور أهم مرحلة تاريخيّة عاشتها مصر في عهد الخديوي اسماعيل، هذا الرجل الذي شهدت «المحروسة» في عهده الكثير من الإيجابيات على صعد جتمّة. يقدم المسلسل مشهدا عن القطار الذي وجد في مصر في تلك المرحلة، ويؤكد بطل المسلسل قصي حولي الذي يؤدي شخصية الخديوي اسماعيل لولديه: سونيفق وفؤاد أنّ هذا القطار والسكة الحديد موجودان في بريطانيا ومصر فحسب. كانت ثمة حالة نضويّة بحثت في تلك المرحلة، وذلك ما قيل ويقال عن الخديوي اسماعيل الذي درس في الغرب وكان منفتحاً إلى حد كبير، وما كان يسمح شيء حالة في دول الغرب يمكن أن يرتقي بـ «المحروسة» ويجعلها في مصاف الدول الراقية إلاّ عمل على تحقيقه فوراً.

يلتخر «سرايا عابدين» الكثير من قرانا عنده في التاريخ، رغمّ اختيار كاتبته المسلسل مبهً مشاري حمادة وتركيزها على مسالة «الجواري» والنساء في حياة



البناء

جميل قاشا يستلهم الطبيعة موضوعاً لأعماله الفنيّة الفريدة

اللاذقية ـ لين علي

يندمج الفنان والنحات جميل قاشا والطبيعة حوله، فتلما تتدمج الكلمات الجميلة والصوت الرخيم. تغدو أعماله غناء كل أمل في دراسة موضوعيّة للإنسان والمجتمع والطبيعة والتاريخ قد تعيد البشرية وتمكنها من المبادرة والتدخل الواعي سببيّاً. ولا يبالغة في القول إنّ نقد فوكو الفكريّ هو أقرب ما يكون إلى النقد العمديّ الذي يوصل إلى حال مفزعة من الفراغ الفكريّ، إذ تتساقت معه جميع الاقتناعات وتنهار جميع حوافز الأمل والعمل ومبززاتهم، وتفرغ الأفكار من كلّ ما يُعتبر مضامين هادفة وإيجابية، ويُنظر إلى حياة البشر مثل أسطورة سيريف الخالدة: مسيرة من العيب المُستمر!

يقول قاشا إن تجربته تتمرکز حول الكتلة، إضافة إلى العنصر الجمالي الفني. ويستغل الكتلة ليخرج منها العمل المطلوب وهو المزاجية بين الكتلة الحجرية ومضامين الفن، مبيّنا أنّ ثمة مجموعة من الأعمال تزدان بمجموعة من الأحجار الكريمة والنحاس للخروج بحالة إبداعية تخصه.

يطوع الفنان الحجر المستخرج من منطقتّه، جسر الشغور وجبالها، ويخلق منها حيوانات مثل الشور والطيور والنبغاء والأسماك النهريّة، إضافة إلى بورتريهات لنساء ورجال يتخذ بعضها شكلا يغلب عليه التجريد الفني. وللنور لدى الفنان جميل قاشا صلاحيّة خاصة إذ يرتبط بالأسطورة السوريّة التي تعتبر الشورأحد نماذج الحضارة السوريّة القديمة. يتخذ النور وضعايت مختلفة لكنها تشترك جميعها في الحجم الضخم والقرنين الصغيرين إضافة إلى نظرة الدواع، وهو يستغل الكتلة الحجرية بانحناءاتها ليصل مكانا ويترك مكانا آخر كما هو في الطبيعة، ويلفت إلى أنه استخدم في أحد فرائنه المنحوتة أسطورة ثور المينادورا الذي نقل الأمانة أوروبا من مدينة القدموس على ظهره إلى القارة الأوروبيّة، مشيرا إلى أن حيطان النور هو الأهم في

جميل قاشا يستلهم الطبيعة موضوعاً لأعماله الفنيّة الفريدة



أعماله. أما في المنحوتة السمكة فيستغل الكتلة الحجرية النهرية الخالية من الأتربة مع مرور الزمن، مزاجاً بين شكلها البيضوي وكتلة السمكة البيضوية، ومخرجا منها حالة متفردة. الأسماك في أعماله تتخلق كأنها في نهر حقيقي.

تستقبل صالّة «سي آر ت كافي» في اللاذقية مجموعة من الأعمال النحتيّة للفنان قاشا تضم 35 عملاً يستقرق فيها الماضي والراهن، وإبرزها مستوحاة من الطبيعة ومن أحجار مميزة ستغرقت خمس سنوات من العمل المتواصل لتشكيلها.

يقول الفنان التشكيلي شادي نصير، مدير صالّة «سي آر ت كافي» عن أعمال قاشا: «تكرست أعمال الفنان على نحو كامل للنحت الذي يعالجه بصيغة واقعية مبسطة قادته إليها الخامة التي يتعامل معها، وهي صلدة وصعبة الانقياد بسهولة لأنامل النحات وادواته، ما جعلها تفرض عليه مخارج معينة لأشكاله تتماشى والهيئة التي جاءت بها من رحم العمل الفني. الأجساد والوجود الانثوية والحيوانات، وبخاصة المجرىات والحشرات والأسماك والزهريات وحاملات الشموع وعلب الحلبي والواروق الخاصة بالعلطور ورموز الأبراج التي نفذها على شكل عرجة أو

«خلسة في كوبنهاغن» لسامية عيسى

رواية الشتات الفلسطينيّ

كتب عمّار المامون: صدرت لدى دار «الأداب» في بيروت رواية «خلسة في كوبنهاغن» للكاتبة والروائيّة الفلسطينية سامية عيسى، ويتناول هذا العمل الثاني بعد روايتها «حليب النين»، معاناة شعب كامل يقاسي الأمرين لتحديد انتمائه وهويته وإبراز محاولاته لاستعادة الأرض التي هجر منها. كما تبني عيسى صوراً من ملحمة الشتات الفلسطينيّ كجزء من تاريخ نضال طويل ما زال مستمراً إلى اليوم.

الحكاية التي تدور حولها رواية «خلسة في كوبنهاغن» بسيطة، فأطمة الأم التي فقدت أبناءها فُتأج مرة برويّة ابنها عمر الذي ظننته ضائعاً على التلّفزيون، لتبدأ رحلة البحث عنه ومحاوله إعادته إلى كنف العائلة، إلاّ أنّ حبكة الرواية تعقد، لتصبح أشبه باليوم صور كل منها يروي حكاية عن القمع والتهجير الذي شهده الشعب الفلسطينيّ. فأحبيكات الفرعية تقدم صوراً مختلفة لملحمة الشتات التي انتهت بجيل كامل في أوروبا والدول الإسكندنافية، خاصة التي وجدت نفسها بسبب اتفاق أوسلو أمام واجب أخلاقي باستقبال اللاجئين، وتنتهي الرواية بعودة الإبن الضائع عمر إلى أسرته بعد المحاولات المذمّنة التي يقوم بها حسام ـ ابن شقيقه ـ ليستعيد عمر ذاكرته ويعود إلى كنف الأسرة.

تطرح الرواية العلاقة مع الآخر بصورة إشكالية، الآخر الفلسطيني والعربي الأوروبي وحتى اليهودي.

العنوان نفسه يطرح إشكالية الانتماء، إذ ترسم الرواية فضاءين يسير كل منهما بصورة موازية لأخر، فلسطين الذكري والأرض العبيدي التي انقطع عنها المهجرون إثر الولايات ذاوقها فيها وفي لبنان وكوبنهاغن، والمدنية المختلفة تماماً عما اعتادوه، وتبرز كذلك محاولاتهم لتأسيس وجود جديد في دول تعليمهم فقط حقوقهم الإنسانيّة.

أما «الخلسة» فهي تتعكس الحيوية السريّة التي عاشها كل من شهد هذا الشتات في محاولة لتجاوز جوانب رهيبة ستبقى طي النسيان، ففأطمة الجدة أدمت العادة السريّة، وصديقة عملت بائعة هوى في دبي، أما حسام فيجالو التساقية لانتمائه الجديد، وعمر العم الصانع ففتقدد الانتماء، فهو الفلسطيني الذي نجأ من الموت صغيراً، وهو عاموس ابن اليهودي عمير الذي تبناه بعد فقدان ذاكته، وهو آدم العالم المشهور ذائع الصيت... الجميع يخفون ذكريات ومحنًا، إما تدفعهم إلى الانخراط في المجتمع الجديد وتبني عاداته، أو التكتل في أحياء شعبية (غيتو) يحاول سكانها الحفاظ على ما تبقى من انتمائهم.

صوت الراوي بارز في الرواية، فأحياناً تتورط الرواية عيسى عاطفياً في السرد ليعلو صوتها على أصوات الأشخاص كأنها إحداهم، ولتتحدّث بصوت من يحاكم الوطن والدول والأفراد على مواقفهم. من الصعب أنّ تحافظ على حيادها، فالقضية لم تنته بعد بل هي مستمرة، وتتوغل في التفاصيل اليومية لكل فلسطيني.

تتناول الرواية جانباً مهما من القضية الفلسطينية وهو العنصرية. آخر، إذ تطرح مفهوم «الأولاد» الذي انتشر في مخيمات اللجوء في الدول الإسكندنافية، فضرورة اللجوء في هذه الدول ليست لامعة مثلما يظن البعض، لأنّ اللاجئين يُعزّرون بأنهم من دون وطن، من دون أي هوية تبثت انتماءهم. يعيشون معقلين في التاريخ وفي المكان، محرومين من حقوقهم، والاحتجاجات التي شهدتها النزوج والدانمارك تعكس هذه الحالة. فالحكومة هناك حاولت تجاهل ما يحدث، وهبوب رياح «الربيع العربي» دفع إلى قيام تظاهرات للمطالبة بالحقوق المدنية التي لم تعد من مطالب الفلسطيني فحسب، بل لسائر المهجرين والمشتتين من أوطانهم بسبب الحروب والقمع. ثمة إشارات للجوء السوري في تلك الدول والمعاملة التي ينالها اللاجئون بعدما هجّروا من أوطانهم هو استغلال من قبل الدول ومحاوله لتبويض الأوجه على حساب المناسة والمعاناة.

ثقافة

حبر الكلام

■ **يوسف عادل***

أَتكل على ما تبقى من حُطام العِزَم
أتشّيب بجبل السُرّه
أتوسل متحاشياً العويل:
يا أُمي... أنا يوسف
الزّمل لي منك فدءُ راقّة
ورجوة ترجى؟
طالبني البغض، احتواني
التباغض
زَلزلني، وما أنكفأت!
سادَ التّكادُبُ منهُواُ
تحلّت عري التحايبُ،
احتدّم الطيش الجهول
والفتك فتل بالبنيةَ والبيتانيُ
فما أبقي... ولنْ!
استشرى الفُكْرُ
أواصل السعي...
بأكثر ما أحتمل وأتحمل!
يدهمني السُكْرُ والسُكْرُ،
لا أتواني ولا أبْئُكي!
أُحْمَلُ، أبْسَمَلُ،
أشدُّ أُرّي بإزار المسيح
وعناء الخُلجِلّةِ
وبكل من له، ولها جاء أو
شفيعٌ...
أبغى هامساً، بالكاد يُسمع،
لمن يأتيه
أو تأتيه: يا...
ولمّا:ً
أبغى السّتين صاعداً
أتوكأ على عصا الترحال في
مسعى الرحيل

* كاتب وشاعر أدبي من كتاب «البناء» القدماء في الشتات، عضو اتحاد الصحافيين السوريين، قومي من منغية السلفية.

بيان لهيات ثقافيّة لبنانيّة

بعد تداعي لجنة المتابعة للهيئات الثقافية اللبنانية، وتشاورها حول ما يحصل على الساحطين اللبناني والعربية وخاصة ما يجري على أرض غرّة الجريحة، توافقت على إصدار البيان الآتي:

أطلاقاً من الثورات والمبادئ التي توافقت حولها، التزاماً بشرعة حقوق الإنسان، والمسلمات الإنسانية، والائناء العربي والوطني (اللبناني) توافقت

1 ـ على الساحة الوطنيّة اللبنانيّة

تأكيد المؤكّد سابقاً، وهو ملء شغور رئاسة الجمهورية فوراً (عملاً بالميثاق والبدستور) والتخوّف من استمرار الوضع الحالي وانعكاسه على مجريات الحياة الديمقراطيّة لجهة الانتخابات النيابية المقبلة وقانونها الحديث، في ظل تجاهل المسؤولين لهذا الأمر، والخشية من «التعطيل الحكومي»، وما يجري من تآبثين ومحاصصات سياسية.. خاصة في ملف الجامعة اللبنانيّة المهذّدة راهنا بمازتها من التشطفي وخطر التوقف عن العمل، وضرورة إصلاحها وعودة القانون إليها، وملف سلسلة الرتب والرواتب، إضافة إلى تعطيل عمل السلطة التشريعيّة، في مرحلة من أكثر المراحل العصيبة التي يعر بها الوطن والمنطقة العربيّة وإغفال المسؤولين النظر لما يجري في البلاد، من أفساد ومفاسد. كذلك الخشية من تأثير الخارج على الداخل في مرحلة عصيبة جداً تتعاظم فيها الصراعات الدموية التي تشهدها سورية، والعراق على وجه الخصوص.

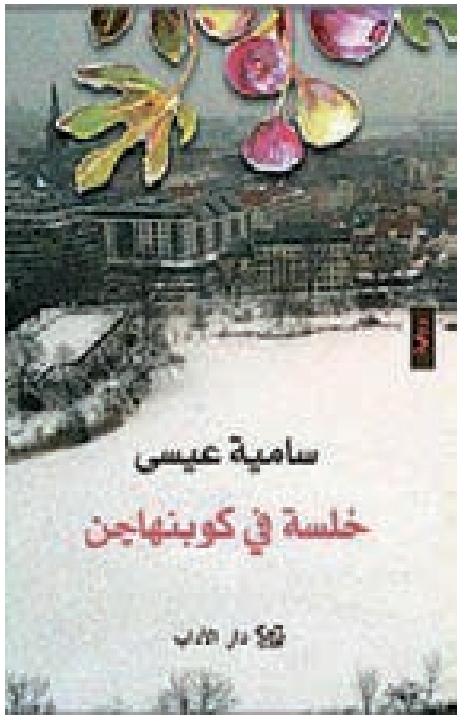
2 ـ على الساحة العربيّة وقطاع غرّة

تتسارع الأحداث الدامية، والتدابيح والاصطراع على أرض سورية والعراق، لتهدّد الوحدة الوطنيّة فيهما وتسلب حرية أبنائهما وتؤزّعهم، وتضرب الديمقراطية عرض الحائط، ينمط عتفي متصاعد من شأنه أن يعكس صراعات

ولعل الأبرز في الآونة الأخيرة التصعيد الإجرامي «الإسرائيلي» على غرّة وإهلها، تدميرا للبيوت على ساكنيها الذين رفضوا تركها، وسقوط الآلاف من الشهداء والجرحى (%25 منهم: نساء وأطفال)، بحيث تحوّل غرّة إلى بركة من الدماء، وجرّام من الدمار في ظل استمرار الصمت العربي المخزي، وسكوت العالم عمّا يجري ودعم الصهاينة القتلّة، وذلك بروز تنامي الحراك العسكري الفلسطيني واطلاق الصواريخ التيتب اوت معظم أرض فلسطين التاريخية المحتلة، بهدف أن يتمكّن الفلسطيني من فرض «معادلة» جديدة تتجاوز حدود التهمته. التي يابرت إليها مصر ـ لرفع الحصار المطبق والمتواصل، عن غرّة المحاصرة منذ سنوات! وسط تحشد الدبابات «الإسرائيلية» على أبواب غرّة في حملة تهويل لإجتاح بري!

إننا ندعو لإستيع حملات التضامن مع الشعب الفلسطيني المناضل وبخاصة، راهنا، في غرّة والتحرك لضرته والوقوف إلى جانبه لتحرير أرضه من الاحتلال الصهيوني وإقامة دولته المستقلة الحرّة وعودة اللاجئين إلى ديارهم من أطراف الشتات.

الهيئات الثقافية: الحركة الثقافية ـ اضلياس، اتحاد الكتّاب اللبنانيين، النادي الثقافي العربي، دار الندوة، المجلس الثقافي في بلاد جبيل، منتدى صور الثقافي، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي.



كانك معلق في الفضاء، تعيش تاريخ أرضك وتاريخاً آخر تحاول صنعه الآن. الأمر أشبه بسقوط مستمر لا نهاية له. الشتات ليس أنّ تفقد وطنك وأسرتك فحسب. إنهُ أزمة ثقافية، إذ تعيش تانقطين، ما كنت، وما ستكون، أيهما يستحقّ العناء أكثر. في النهاية لا إجابة واضحة عن هذا السؤال. الرواية ترسم معالم الشتات الفلسطينيّ اليهودي أيضاً، شعبان، كل منهما يفقد ما يملك ويدفع حساباً لا ذنب له فيه، الكل مهذّب بالفقدان دائماً. الشتات يتسع ليشكل كل مذعب وكل لاإحي، إذ لا مقر من أوجاع المذاكرة المفاجئة التي تحطم الأفراد ليحؤولوا إلى أشبه بعالقين في مآثم. أن تكون بعيداً لا يعني أنّ تنسى.

ينسحب ذلك على الجسد وما يعانيه في ظل الشتات. البعض أذمن المخدرات لبئسي، والبعض تورط في المافيا. المهم أنّ يخجو. الجنس بات معالاً للوجود، البعض ينقي وجوده فيمتنع عنه في الشتات. هو الحسام من الانتماء إلى تلك الذاكرة مجددًا، محاولة للهرب من أحد امرأتين، منى الفلسطينية التي تقاسمه وجدانه وانتماه ويتمنّى لو يضع في حضانها إلى الأبد، ويأرا ذات الأصول اليهودية التي تتشاركه انتماء الفكري، فالموضوع يتجاوز الذاة ليصل إلى حدّ الخوف من الجسد. حتى عمر الذي فقد ذاكرته كره الجنس، يشعر بالقرق من العملية كلها. هو الامتناع عن توريط الجسد في ظل ما شهده من عذابات، محاولة للحفاظ على ما بقي منه بعيدا عن إنهاك الجنس.

يفق اللاجنون والمعكوفون بالشتات أمام أزمة ثقافية، حقوق لم يعرفوها أصبح في إمكانهم ممارستها. المشاركة السياسية بحق المرأة في المطالبة بحقوقها كانا صدمة للكثيرين والكثيرات، حتى أنّ بعضهم رفض الزواج كي لا «يتجهل»، السطوة الذكورية تختفي. الأنثى أصبحت سيده نفسها، بعيدا عن ذكريات الغنصاب والقهر. معالم التكنولوجيا الحديثة وأساليب الاتصال غيّرت من شكل الانتماء إلى القضيّة والأرض. حلم العودة التقليدي لم يعد يكفي، لا يستغني عنه، إنما تغيّرت أساليب التعامل مع، ما دفع حسام إلى تأسيس شوط في «الشمال» الإلكتروني في محاولة لتجميع الجالية الفلسطينية وتحقيق الترابط بينها ومساعدة المهجرين في بلد يحقّ فيه للشخص أن يصنّر بالخطا وأن يخطأ، وسائل يحقّه أن كان على صواب. الشمال هو سيد الاتجاهات، أساس الاستدلال عن باقي الاتجاهات في لارب الضياع.

^[1] كاتب وشاعر أدبي من كتاب «البناء» القدماء في الشتات، عضو اتحاد الصحافيين السوريين، قومي من منغية السلفية